

الرؤية النقدية للخطاب وجماليته عند معمر حجيج
قراءة في كتاب " أعماق الخطاب وجماليته "
د. موسى كراد

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي

kerradmoussa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/15 ؛ تاريخ القبول: 2024/03/22

**The critical vision of discourse and its aesthetics
according to Muammar Hajej
A reading of the book “The Depths of Discourse and Its
Aesthetics”**

Abstract:

This research paper attempts to question the critical vision of discourse and its aesthetics in Muammar Hajej, through his book "The Depths of Discourse and Its Aesthetics and Mechanisms for Its Disclosure, Interpretation and Interpretation", in which he summarized the most important mechanisms of interpretation and interpretation of the most important literary and non-literary discourses and of the aesthetic coded patterns that go beyond what is discovered from the phenomena of discourse to reveal its depths.

Keywords: depths of discourse; critical vision; aesthetic

الملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية مساءلة الرؤية النقدية للخطاب وجماليته عند معمر حجيح، من خلال كتابه "أعماق الخطاب وجماليته وآليات مكاشفته وتفسيره وتأويله" والذي لخص فيه أهم آليات التفسير والتأويل لأهم الخطابات الأدبية وغير الأدبية وللأنساق المرمزة الجمالية التي تتجاوز ما يستشف من ظواهر الخطاب إلى الكشف عن أعماقه.

الكلمات المفتاحية: أعماق الخطاب؛ الرؤية النقدية؛ الجمالية؛ معمر حجيح؛

مقدمة:

إنّ الحديث عن أعمال الأديب والنّاقد الأستاذ الدكتور معمر حجيح يقودنا نحو عالم من الابداع وجمالياته، وخاصة في النقد الأدبي قديمه وحديثه، حيث يسافر بنا إلى أعماق مختلف الخطابات الأدبية والإبداعية والنقدية كاشفاً آلياتها وتفسيراتها وتأويلاتها السطحية منها والعميقة.

إنّ الأديب والنّاقד معمر حجيح من بين الأدباء والنقاد القلائل الذين جمعوا بين النقد الأدبي البناء وكتابة الرواية، كونه أستاذ التعليم العالي، ممّا أهّله أن يكتب باتقان وصرامة منهجية.. وصدر له العديد من الاعمال الأدبية وكتب ودراسات نقدية في تحليل الخطاب والمناهج النقدية كالأسلوبية والتداولية. مما يؤهله أن يكون ضمن قائمة الأدباء والنقاد الكبار المتميزين في الجزائر، وخاصة بالنسبة للنقد الأدبي.

إذن فالمقال اتخذ من كتاب "أعماق الخطاب وجماليته" لتبيان الرؤية النقدية للخطاب عند الناقد معمر حجيج، والذي يتضمن مجموعة من الدراسات سماها الناقد بالفصول في كتابه، الذي يقع في 387 صفحة، وصدر عن دار المثقف للنشر والتوزيع سنة 2018 بـ سطيف - الجزائر.

يتألف الكتاب النقدي من ثلاثة عشر فصلا حاول من خلالها الناقد التعرّيج نحو مختلف الخطابات الأدبية النثرية والشعرية والفلسفية محاولا مكاشفتها وتفسيرها وتأويلها، وقد استفتح كتابه بمقدمة مفصلة جامعة للكتاب بأكمله، لينتقل بعدها مباشرة للدراسات النقدية، مع عدم وجود خاتمة نهائية للكتاب.

- منهج وأهداف الناقد:

يحاول الكتاب سبر أغوار مكاشفات أعماق الخطاب بأدوات وآليات التفسير والتأويل البلاغية والسيمائية والأسلوبية والتداولية، وقد اختار الناقد الدراسات المدرجة في الكتاب محاولا استيعاب أشكال الخطابات وأجناسها بداية بالقضايا اللسانية والمنهجية والمعرفية لأي خطاب ومرورا بمدلولية الخطاب القرآني المعجز في حيازته لدلالة ربانية بمرجعياتها وإحالتها المتنوعة وشكله المتفرد وسمو بلاغته، ليعرج على الخطاب النبوي القرين للقرآن يفصل مجمله وبقيد مطلقه ويخصص عمومته وتميزه ببلاغته وتنوع أشكاله، ثم محاولة استيعاب باقي الخطابات العربية بأجناسها الكبرى النثرية منها: المقالة والسردية موزعة على القديم والحديث، ثم الشعرية وبخاصة شعرية الصوفية والرمزية (حجيج، معمر، 2018، 3)

كما حاول الناقد التعريف ببعض القضايا الخاصة بالبلاغة القديمة المعيارية وسلطانها التشبيه والجديدة وسلطانها الرمز، وكذلك الأسلوبية بوصفها الوريث الشرعي للبلاغة، أو هي البلاغة الجديدة.

كما لم يغفل الناقد تعريف التداولية وأسسها المعرفية عند الفلاسفة والليسانسيين والبلاغيين والسيميائيين والنقاد.

- بيان لفصول الكتاب:

سنحاول - من خلال ما سيتقدم - كشف أهم فصول الكتاب بالقراءة والتحليل والوصف، فنجدد اهتمام في الفصل الأول بمكاشفة أعماق الخطاب وأسسها الجمالية، وقد بدأ بمحاولة الاحاطة بمفهوم مكاشفة الخطاب الأدبي والذي يتوخى منه " تجاوز المظهر اللفظي لأي خطاب لسبر أغوار أعماقه بكونه يتضمن عددا غير محدد من مستويات لبنيات وأنساق مرمزة موحية تخفي حقائق معرفية عن النفس والروح والوجود عصية على الفهم والتفسير والتأويل النهائي، ولا يقتصر على بنيتين عميقة وسطحية.." (حجيج، معمر، 2018، 5) ولهذا نجده يتردد في استخدام هذين المصطلحين.

ويتصور الناقد معمر حجيج أن أي خطاب بحسب أنساق أنواع الخطابات بأنها " مفرخة لكيونات خطابية نسقية متوازية أو طفيلية، وتزاحمها كيونات خطابية نسقية متوازية أو طفيلية أخرى تتكاثر بلا نهاية.. وبهذا فهي لا تشكل إلا بنيات تابعة للبنية الخطابية الكبرى، وتمثل بالنسبة له بنية ثالثة ورابعة؛ وتؤدي هذه البنيات الممتدة والمتواترة وظيفة التنفيس أو الاسترواح عن الجامع النصي الكامل على مستوى نوع الخطاب وتوطينه الأدبي وتجاوزه

إلى الفلسفي والروحاني وبتنفس في فضاء وزمان ومكان حال
لسان المبدع والمتلقي ويمتد إشعاعه إلى الفضاء الانساني
والكوني، ويضرب بجذوره إلى الماضي الانتروبولوجي الغارق
في القدم، ومن ثم فهو بكيونته الاستطردية لا يملك هوية مستقلة
على الأقل في نظر ناسخه عن باقي الخطابات..(حجيج، معمر، 6)

أما الفصل الثاني الموسوم "نظرية النظم وقضية إعجاز
الخطاب القرآني"، فاهتم الناقد فيه بالخطاب القرآني ونظرية
النظم؛ حيث يوضح أن جمالية الخطاب بمفهومها الحديث يمكن
إرجاع أسسها المعرفية والتطبيقية إلى نظرية النظم التي يختصرها
الجرجاني في مقولة (النظم ضرب من الأسلوب) (الجرجاني،
2008، 47) ونعتقد أنها هي الأصل لما يعرف بالمناهج النسقية
كالأسلوبية والشكلانية والبنوية والسميائية ولسانيات تحليل
الخطاب بل كانت الرائدة بتأسيس ما يعرف الان بنحو
النص..(امبرتو، إيكو، 138)

فتاريخ مصطلح النظم في المنظومة المفاهيمية الفكرية
النقدية العربية كان يطلق على قول الشعر في مقابل النثر.. ثم بدأ
يتوسع بعد التفكير في صور إعجاز الخطاب القرآني الجديد في
نسقه الايقاعي التنغمي الصوتي والدلالي والحجائي والمعرفي،
وجعل كل ذلك لتحقيق التواصل بين ما هو سماوي وأرضي، ثم
توسع أكثر ليشمل كل الخطابات الأدبية ثم عمقه البلاغيون فأصبح
نظرية من نظريات تفسير ظاهرة إعجاز الخطاب القرآني بأسلوبه
ونظامه الجديد.. وقد تكلم عنها وتوقف عند ثلاثة من البلاغيين هم
الباقلاني وعبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني..(حجيج، معمر ،
2018، 33).

الفصل الثالث اهتم فيه بجمالية الخطاب النبوي بلاغيا وداليا وتداوليا وقد اختار شروح البخاري مثل (فتح الباري لابن حجر العسقلاني) ميدانا للتطبيق والاشتغال.

ويؤكد الناقد في كتابه أن العلاقة بين جمالية الأسلوب لأي خطاب في مستواه التركيبي والدالي والتدولي تتقاطع في محاورها الكبرى غير أن تمفصلات تعالقاتها الكلية الدقيقة التي تبدو متميزة عند تطبيقها في دراسة مدونة خطاب محدد في شكله أو مدونة مشكلة من أنواع من خطابات نوعية ومتميزة وفريدة..(حجيج، معمر، 2018، 56) ، وبخاصة حين نكون أمام خطاب نوعي ثري ومتنوع في طرائق بنية تركيبه ودلالاته وتداولته ومتنوع في أساليبه البلاغية وثابت في أشكاله وأنماطه في اطار مستوى سيميو -نظمي دلالي في أفقهما الجمالي المعجز.. وهذا ما يقدمه لنا القرآن الكريم وفي المرتبة الثانية يأتي الحديث النبوي الشريف.

بيد أن الحديث تستوعبه الدراسة الدالية التداولية في تعالق وتكامل بلاغي، ولكن ليس بمستوى القرآن لكون رواية الخطاب النبوي تمت في بعض الأحيان بتصرف في ألفاظه فوصلنا بمعناه لا بكامل لفظه الذي قيل فيه.

ومن هذا المنطلق تأخذه دراسته للخطاب النبوي منحاه المنهجي في التركيز على مدلوليته المتكافئة لنصيته والمولدة لحواره الدلالي والتدولي وتعالقاته مع الأساليب البلاغية، وهو يرى بأن هذا المنهج أكثر استيعابا للخطاب النبوي في نظام تراكيبه وصوره ومعجمه اللفظي، ويعتقد أيضا بأن هذا النوع من

الدراسات يمكن أن تضيف الجديد إلى هذا النوع من المقاربات التي تجمع بين ثلاثة علوم لسانية في تعالقها التكاملي..

وجاء الفصل الرابع مخصصا لمكاشفة أعمق خطاب الغموض وبلاغته وآليات تأويله؛ يؤكد أن نظرية مكاشفة أعمق خطاب بلاغة الغموض ومنهج آليات تفسيره وتأويله من أقدم النظريات والمناهج ظهورا في الآداب والفلسفات القديمة الهندية والصينية ودياناتها، وفي الأدب والفلسفة اليونانية والديانات الشرقية القديمة وفي الآداب والديانات المسيحية واليهودية وغيرها من فلسفات وتيارات فكرية ودينية غربية بخاصة فلسفة أفلوطين وما بعدها، وفي الأدب والفكر العربي عند بعض الفرق وبخاصة المعتزلة وبعض فرق الشيعة، وعند اخوان الصفا والمتصوفة المتفلسفين، كما توسع مجالها في الفكر العربي فأصبحت خطابا شاملا كما أعيد تأصيل نظرياتها ومناهجها في الآداب والفلسفات الأوروبية الحديثة وبخاصة عند الألمان أمثال هايدجر وهوسرل وجادامير وهامبراس تم عند بول ريكور وامبرتو ايكو وتفكيكية جاك دريدا..(حجيج، 93)

وقد حاول الناقد إعادة فهم منهج الفكر التحليلي البلاغي الغامض التأويلي العربي والذي يعد حقيقة من الجذور التأصيلية التاريخية لكل المناهج والنظريات الحديثة في تحليلها للوحدات الأسلوبية ومستويات تواصلها الجمالي.

ويؤكد أنّ البحث في الحفريات المعرفية في التراث العربي للكشف عن تدرج سلم أدوات التسنين وآليات التأويل في نظرية الخطاب العربي، وهي تتدرج من الأدنى إلى الأعلى بحيث تبدأ بخطاب التواصل المباشر الفصيح الصحيح، ثم خطاب التشبيه،

وأعلاه التشبيه البليغ، ثم خطاب الاستعارة وأعلاها خطاب الاستعارة المكنية والمرشحة والتمثيلية، ثم خطاب المجاز العقلي والمرسل، ثم خطاب الكناية، ثم خطاب الرمز، ثم خطاب اللغز ثم خطاب المعنى..(حجيج، معمر، 2018، 97).

ويحصر الناقد مجموعة من آليات تفكيك التسنين سواء بالتفسير أم التأويل ويؤكد أن لها سلم تتدرج فيه ضمن علوم لسانية وأنساق جمالية ورؤى معرفية وعلوم إنسانية ونماذج حضارية وثقافية ومنها(حجيج، 97-98):

1. التفسير التأويلي للخطاب من خلال علاقات صحة نظم الجوار بين الدوال وهذه مهمة النحو بصريح عباراته ومضمراته.

2. التفسير التأويلي للخطاب من خلال علاقات صحة إحالات الدوال على المدلولات، وهذه مهمة علم الدلالة بالأسلوب المباشر أو غير المباشر والعبارة الملونة والبيضاء

3. التفسير التأويلي للخطاب من خلال علاقات وظيفته إزاء المتلقين، وهذه من مهمة التداولية سواء من موقف خطاب الاخبار أو من موقف خطاب أفعال الانجاز.

4. التفسير التأويلي للخطاب صوتا وتركيبا ومعنى، وهذه من مهمة البلاغة وعلم الجمال

5. التفسير التأويلي للخطاب في انفتاحه على مجاله الحيوي، وهذه من مهمة الدراسات المقارنة، والتناص والخطاب الجامع لفنون التواصل القولي وغير القولي.

6. التفسير التأويلي لما وراء الخطاب في بعده النفسي والروحي والوجودي والحضاري والثقافي، وهذه من مهمة علم الروحانيات والباراسيكولوجيا وظلمسات السحر والتنجيم والانتروبولوجية، وهي أغرق وأبعد في التأويل...

وكل هذه المراحل وآليات التفسير والتأويل مترابطة ترابطا وظيفيا عضويا في الخطاب، وأي جهة لا يمكن لها أن تفسر الخطاب نفسيرا تأويليا بمعزل عن الجهات الأخرى.

وقد خصص الناقد (الرمز) بالدراسة والاهتمام، ذاكرة معاني ودلالات وألفاظ الرمز والترميز والمرموز والمرموز والمرموز له والرمزية وأبعاد مفهومها عند تحولها إلى ضروب من المصطلحات النسقية الدلالية غير اللسانية واللسانية الأسلوبية ذات المرجعيات المعرفية المختلفة

أما في الفصل الخامس فقد اهتم بخطاب مكاشفة الأنساق في الفكر الفلسفي والبلاغي، وفيه وقف عند منظومة المصطلحات المفتاحية كالخطاب والنسق والمكاشفة لكونها تمثل البوابة والمفتاح، وقد ركز أكثر على مفهوم النسق، فعرفه لغة واصطلاحا في الفكر الفلسفي الغربي والعربي الإسلامي، ثم انتقل إلى المفهوم الفلسفي للرمز إلى بلاغة الغموض، وعرج على كتاب بول ريكور (الاستعارة الحية).

الفصل السادس عنوانه بالأدوات البلاغية لاستكشاف الأسرار الجمالية، وحاول فيه دراسة مفهوم مفهوم الخطاب وأدوات التحليل المعرفي البلاغي الذي يشترك مع حقول معرفية لغوية واجتماعية

ونفسية وأدبية نقدية جمالية في مقاربتها واستقرائها لأنظمة أي
نشاط خطابي لساني تواصلية..

لتأتي بعده بقية الفصول والدراسات التي اعتنى فيها الناقد
بمجموعة من القضايا والخطابات، وهي كالآتي:

1. جاء الفصل السابع مهتماً بالتحليل السيميائي للحكايات
القصيرة في التراث النثري المغربي حتى القرن السادس
الهجري.

2. واهتم الفصل الثامن بنظرية الخطاب السردية من وجهة
المقاربة السيميائية.

3. الفصل التاسع: السياقات التداولية للخطاب بين اللسانيات
والنقد.

4. الفصل العاشر: الأسلوب في النقد العربي الحديث بين
التأصيل والتحديث.

5. الفصل الحادي عشر: أعماق رمزية الايقاع وضافها
المعرفية في خطاب شعرية المتصوفة.

6. الفصل الثاني عشر: تحليل الخطاب الشعري في ضوء
المقاربة الأسلوبية.

7. الفصل الثالث عشر: خطاب شعرية الرمز وضافها
المعرفية والجمالية.

إنّ القاسم المشترك بين هذه الدراسات النقدية (الفصول) هو
العمق والجدة العلمية والأصالة والابداع، وجماليات التصوير

الدقيق ينقله لنا الأستاذ الأديب والناقد معمر حجيج بأسمى وأرق
جماليات أعماق الخطاب النقدي العربي.

وقد امتاز هذا الكتاب النقدي بالنقاط الآتية:

1. معالجة إشكالات تأويل وتفسير ومكاشفة الخطابات الأدبية
وغير الادبية مجتمعة، إذ أوضح المؤلف أن محاولة الاجابة
عنها تفيد من حيث قيمتها المعرفية التنظيرية ومن خلال ما
تقدمه أيضا في مقارباتها التطبيقية من أدوات وآليات التفسير
والتأويل.
2. نستشف أيضا الحس النقدي والوعي المنهجي للناقد معمر
حجيج، من خلال إثارته قضايا نقدية ذات حساسية كبيرة،
كسؤال المنهج، وقضايا المصطلح، وأنواع الخطابات
وأعماقه، وتحليل الخطاب بمختلف الآليات والتفسيرات،
والرؤية المنهجية.
3. حاول المؤلف من خلال كتابه الاجابة عن فرضيات
وإشكالات العنوان الذي طرحه حيث بنى كل دراسة من
دراساته على مجموعة من المرجعيات الفلسفية
والإبستمولوجية والنقدية القديمة منها والحديثة، ليعطي بعد
ذلك نظريته وفكره النقدي حول الخطاب وجماليته.
4. نلاحظ أيضا في الكتاب محاولة الناقد إبداء الرؤية النقدية
الصريحة التي تتوافق وتجربته النقدية، وذلك دون موارد
أو مخاتلة أو مجاملة في الطرح والعرض، وذلك في قضايا
مهمة مثل الخطاب والحداثة والجماليات وآليات المكاشفة
والتفسير والتأويل.

5. استعرض مؤلف معمر حجيح أكبر عدد ممكن من المتون النقدية العربية، والأجنبية منها والمترجمة .

6. وقد استعان الناقد بمجموعة كبيرة من المصادر تجاوز عددها الـ 122 كتابا عربيا ومترجما و22 كتابا أجنبيا بلغته الاصلية.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة نستنتج أن الناقد معمر حجيح قد استوعب مختلف الخطابات وأعماقها وقد وَّفَّق إلى حد بعيد جدا في أن يستنكه آلياتها مكاشفتها وتفسيرها، وكان نقده في الكتاب تجديديا ثوريا متمردا في بعض المواقف والمناهج النقدية مبرزا خللها وخطأها في الفهم والتأويل، مثل نظريته للنسق المضمّر وتصويبه لاختلالات النقد الثقافي الغدامي، دون أن ننسى إعادته لمختلف الرؤى النقدية السليمة التي تبناها الناقد عن وعي وفهم.

المصادر:

- معمر حجيح، أعماق الخطاب وجماليته وآليات مكاشفته وتفسيره وتأويله، دار المثقف للنشر والتوزيع، ط1، 1439هـ- 2018م
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد أبو شاكر، مكتبة الخانجي، 2008.
- امبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: السعيد بنكراد.